أوروبا الجديدة وعلاج أميركا للمسألة تفادياً لخطر إرهابي قادم

«تفريخ بني لادن»... هل سنشهد أوروبا مسلمة في السنوات العشر القادمة؟

«زاكاري شور» في تحليل ممنهج لوجود المسلمين في أوروبا بين معتدلٍ ومتطرّف

عامر فؤاد عامر

يركز كتاب «تفريخ بني لادن» لمؤلفه زاكاري شور والذي نقله إلى العربية الدكتور نايف الياسين على الأغلبيّة المعتدلة من مسلمي أوروبا وأميركا، لكنه لا يتجاهل المتطرفين منهم، بالتالي هناك إلقاء ضوء مباشر ولا مباشر حول أسباب العنف وجذوره سيتمكن القارئ من استنتاجها بعد التمعن في شهادة الأشخاص الذين التقاهم مؤلف الكتاب «زاكاري شور» الذي اجتهد في جمع الكتاب وأفكاره والشهادات التي صنعته والسعي الحثيث لنشره.

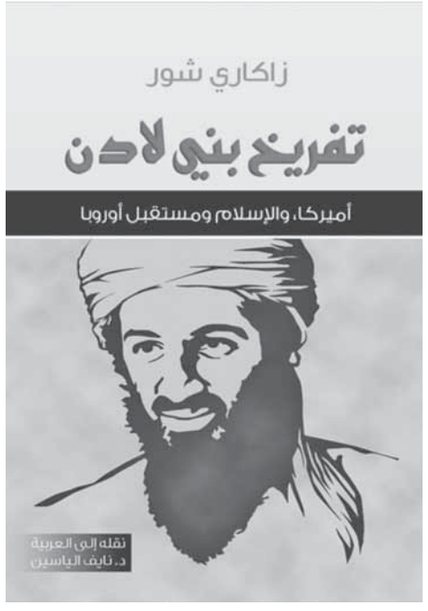

الشباب القادم إلى أوروبا

الدكتور نايف الياسين مترجم الكتاب

القاتل المجتهد

يصف الكتاب حادثة قتل المخرج الهولندي «ثيو فان كوخ» من قبل المغربي «محمد البويري»، وقد كان المخرج قد صنع فيلماً عن اضطهاد المرأة المسلمة من ذويها، لكن في حادثة القتل تلك يترك «البويري» أوراقاً على جثة المقتول وفي آخرها مكتوب: «لا شك لدي بأنك يا أميركا ستسقطين ومعك أوروبا». ويبين الكاتب عن تنشئة الإرهابيين وأسباب ذلك النشوء ويؤكد أن نبذ الشخص في مجتمع جديد يهاجر إليه أو يولد فيه هو ما يدعوه لأن يكون إرهابيّاً! لكن وفي موقع آخر من مقدمة الكتاب يذكر لنا أيضاً مجموعة من الإحصائيات الحديثة نوعاً ما عن الآراء السلبية للمسلمين تجاه أميركا بين الدول العربية وتركيا وهي دراسات ونسب تشير إلى نمو مفهوم العدائيّة تجاه أميركا والغرب عموماً!

جسور لندن

يروي هذا القسم شهادات أشخاص من إنكلترا صرّحوا بها بعد أن فجّر مسلم نفسه في باص للنقل وقتل اثني عشر شخصاً آخرين معه قرب ساحة «تافي ستوك» في السابع من تموز ٢٠٠٥. معظم هذه الشهادات جاءت بصيحات ضدّ وجود المسلمين في انكلترا، وعدم المنفعة من وجودهم. كما تذكر هذه الفقرة أيضاً مجموعة من التطورات المتلاحقة ليقول لنا الكاتب «زاكاري شور»: «إن الإسلام يمرّ بمرحلة إحياء في سائر أنحاء أوروبا، وفي سياق سعي الشباب المسلمين الأوروبيين لإيجاد مكانٍ لهم في الاتحاد الأوروبي، يجد العديد منهم في الإسلام نوعاً من المعنى، والغاية، والهويّة، يختلف عمّا وجده فيه جيل آبائهم. أنهم يصبحون أكثر التزاماً وحماساً لدينهم مما كان عليه آباؤهم». ما زال هؤلاء الشباب المسلمون حديثو الصحوة، أقليّة بين نظائرهم من المسلمين الأوروبيين غير أن الدّلائل تشير إلى أنهم قد لا يظلون أقليّة لوقتٍ طويلٍ.

صحواتٌ إسلاميّة

يرد في مقطع من كتاب «تفريخ بني لادن»: «إن اجتذاب قلوب وعقول الشباب المسلمين في أوروبا هو ضرورة ديموغرافية. إن أوروبا المسلمة أكثر شباباً من أوروبا المسيحيّة. إن ثلث خمسة الملايين مسلم في فرنسا هم تحت العشرين من العمر مقارنة بـ٢١ بالمئة من السكان الفرنسيين بشكل عام، وثلث الأربعة ملايين مسلم الذين يعيشون في ألمانيا هم تحت الثامنة عشرة مقارنة بـ١٨ بالمئة من السكان الألمان بشكلٍ عام. وثلث المليون ونصف المليون مسلم الذين يعيشونَ في بريطانيا هم تحت سنّ الـ١٥ مقارنة بـ٢٠ بالمئة من السكان البريطانيين بشكلٍ عام. ثلث المسلمين البلجيكيين البالغ عددهم ٣٦٤ ألفاً هم أيضاً تحت سنّ الـ١٥ مقارنة بـ١٨ بالمئة من العدد الإجمالي للسكان.

وجهان أو مستقبلان

تواجه أوروبا مستقبلين مختلفين كلاهما محتمل، واحد منهما يعدّ المسلمين جزءاً من الهويّة الأوروبيّة الجديدة في حين الآخر يقصي المتدينين منهم ويتركهم فريسة للمتطرفين الإسلاميين. في ألمانيا يعيش المسلمون كمواطنين من الدرجة الثانية وبالتالي فإن التداعيات ستكون عميقة والظروف مهيأة لانفجار اجتماعي.

صداع الحجاب وفوضى الكاريكاتير

كان من المفروض لقضيّة الرسوم الكاريكاتوريّة أن تؤدي إلى وظيفتين أساسيتين: الأولى إبراز الحاجة إلى التوازن بين حريّة التعبير واحترام الحساسيّات الدينيّة مع حقيقة أن التطرف الإسلامي موجود داخل أوروبا ومن المفروض التصدّي له.

السبب الأساسي للصراع حول قضيّة الحجاب هو الخوف من التطرّف الإسلامي ويعدّ الحجاب رمزاً من الرموز بلا دعوات إلى التطرّف، لذلك تسعى السياسة لإقصاء هذا اللباس بالقوة، وتسعى بعض الدول الأوروبيّة لمعاقبة الإسلاميين الذين يحاولون إجبار النساء على تغطية أنفسهن اعتقاداً منهم أن هذا سيؤدي إلى اندماج المسلمين في المجتمع الأوروبي.

آلام الهجرة

نصل إلى ضغوط ديموغرافيّة كبيرة أسبابها: ارتفاع معدلات الولادة لدى المسلمين بسبب أنماط الهجرة المختلفة، وهذا يهدّد التحوّلات في ميزان القوّة وارتفاع كلفة الطاقة وازدياد حجم المعضلة الإسلاميّة في أوروبا. يدعو المؤرخ «تي موثي كارتون اش» إلى أن الحلّ هو التزاوج بين الأوروبيين الأصليين والمقيمين المسلمين وبالتالي استيعاب المسلمين في المجتمع الأوسع.

صراع الباربيات

«رزان» هي لعبة تمثّل فتاة مسلمة، داكنة البشرة، ترتدي الحجاب، تؤدّي الصلوات الخمس، وطولها أحد عشر إنشاً، بدأت هذه اللعبة باختراق الأسواق الأوروبيّة ببطء ولاسيما في بريطانيا، وألمانيا، وماليزيا، وكذلك الشرق الأوسط، إضافة إلى هونغ كونغ حيث يتمّ تصنيع اللعبة. يباع منها سنويّاً ٣٠ ألف قطعة في حين لعبة الباربي بيع منها أكثر من مليار منذ العام ١٩٥٩ وهذا يعني أن الباربي صرح اقتصادي قويّ لا تستطيع رزان أن تأمل بإطاحته. إلا أن التهديد الحقيقي لرزان لا يرتكز على الجبهة الاقتصاديّة بل هو الترويج لقيم العمل الخيريّ، والاحتشام، واحترام العمّال، وخدمة المجتمع المحلّي، والحدّ من الفقر وغير ذلك بالتالي هي نفسها تشكّل تحدياً أخلاقيّاً وليس اقتصادياً لثقافة الاستهلاك الأميركيّة في التمسّك بما يفترض أنه موقف أخلاقي رفيع مستعملةً قضيّة القيم كعاملٍ من عوامل الترويج.

أوروبا الجديدة والقضايا القديمة

تواجه أوروبا الجديدة تحديات كثيرة في إدماج المسلمين القاطنين فيها ومنها: إجراءات الإدماج التي تتطلب إنفاقاً حكومياً زائداً، مثل دورات التعليم، ومعالجة بعض القضايا الثقافيّة، بعض الدول تسمح ببناء المساجد في أي مكان كبريطانيا وفرنسا في حين بعضها الآخر وضع قيوداً على بنائها مثل ألمانيا. من المثير للانتباه والمقارنة أن أميركا تتناثر فيها المعابد في كل مكان وحتى الآن لم يتسبب ذلك في الاضطرابات التي تنهض في أوروبا وتزعزع الاستقرار. وما يثيره هذا القسم من التساؤلات هو: كيف ستكون أوروبا بعد ٢٠ عاماً فقط؟ فالولادات ترتفع والهجرات تتدفق، وهل ستتعايش الكنائس مع الجوامع جنباً إلى جنب؟ وهل ستكون الفرص متاحة للمسلم والمسيحي بالدرجة والمستوى نفسه؟

مستقبل مسلمي أوروبا

بدأ عدد المسلمين في أوروبا بالتزايد، وكذلك عدد الأوروبيين غير الأصليين، فباتوا مرئيين بصورة واضحة في الحياة العامة، وتزداد حصتهم في التغطية الإخبارية، وكانت معارضتهم واضحة لمواجهة الرسوم الكاريكاتوريّة، وهنا يطرح هذا القسم الدور السياسي الذي يمكن للمسلمين هناك لعبه، وكيف سيكون تأثير وجودهم في السلطة السياسية في المستقبل وهو أمر منطقي جداً تبعاً لاستقراء الأحداث هناك.

استذكار الماضي من أجل التطلع إلى المستقبل

«لهذا الكتاب فرضيّة مزدوجة: أولاً: إن إخفاق أوروبا في إدماج مسلميها مضافاً إليه صورة أميركا السيئة في العالم الإسلامي، ترك العديد من مسلمي الغرب فريسة سهلة للعقائد العنيفة. وإلى أن تتبنى أميركا وأوروبا إستراتيجيات جديدة، فإن أوروبا ستصبح بشكل متزايد أرضاً حاضنة لأمثال بن لادن. ثانياً: إن معظم المسلمين الأوروبيين ليسوا معادين لأميركا. ومن الأفضل وصفهم أنهم يظهرون شيئاً من التذبذب تجاه أميركا. ويكمن السبب الرئيس لهذه المشاعر المختلطة تجاه أميركا وأوروبا في عدم الارتياح المتنامي للقيم الثقافية الأوروبية والأميركية».

استقطاب الدّائرة الثانية

تعمل أميركا اليوم على استقطاب الدائرة الثانية من المسلمين وهم غير المتطرفين منهم والذين استطاعوا بصورة أو بأخرى الاندماج مع الغرب والتواصل معه بصورة بعيدة عن التطرف والكره والمواجهات العنيفة، ومن خلال هؤلاء تسعى أميركا إلى إيصال صورة جديدة عنها وهي أنها تعطي قيمة كبيرة للعدالة، وأنها ليست عدوة للإسلام، وهذه الرسالة توجّه بصورة مباشرة لمسلمي أوروبا وأميركا، وبذلك تقلص خطر التطرف الإسلامي شيئاً فشيئاً.

> بين ولادات مسلمة متزايدة وهجرة مستمرة إلى أوروبا تنفتح الأسئلة وعلامات الخطر

معرض تشكيلي سنوي وموضوعات متعددة

بسام أبو غنام لـ«الوطن»: الفنان التشكيلي في سورية يعيش فقيراً ويموت غنياً.. فلوحاته بعد وفاته تصبح أسعارها غالية

سارة سلامة
تصوير: طارق السعدوني

رغم الأزمة التي نعيشها بقيت المعارض مستمرة، فهي تعتبر حالة تعكس الإيجابية والحركة الفنية المعاصرة في سورية وتجسيداً للواقع المعيش، الأمر الذي يبرز دور الفنان ومسؤوليته عبر التاريخ.

برعاية وزير الثقافة محمد الأحمد أقام فرع ريف دمشق لاتحاد الفنانين التشكيليين المعرض الفني السنوي لفناني الفرع، بمشاركة ٣٤ فناناً وفنانةً، متضمناً لوحات رسم وتصوير زيتي وغرافيك ونحت وذلك في صالة الشعب للفنون الجميلة بدمشق، فبعد غيابه لسنوات عاد المعرض ليرسخ لنا صورة معبرة عن الوطن والشهيد وجمال الطبيعة والارتباط بالأرض والمرأة والتراث السوري، وفق مدارس متعددة بين الانطباعية والتجريدية والرمزية والسوريالية وباستخدام تقنيات مختلفة عكست مدى تمكن الفنان من أدواته.

وحول تشجيع وزارة الثقافة للحركة الفنية خلال الوضع الراهن صرح لصحيفة الوطن معاون وزير الثقافة بسام أبو غنام: «الوزارة تشجع دائماً على إقامة هذه المعارض، حيث تقوم مديرية الفنون الجميلة بمراسلة جميع الفنانين التشكيليين للتحضير لـ«معرض الخريف أو الربيع»، الذي نحن نعقد عليه أملاً كبيراً وخاصة أنه قائم على دمج بين الجيل القديم والجيل الجديد، من خلال المعرض الذي سيقام في الشهر الحالي تحت اسم «الخريف» في خان أسعد باشا، وفيه لوحات وتحف فنية رائعة تضاهي العالمية، ولا يخفى على أحد أن الفنان التشكيلي في سورية وصل إلى العالمية مثل فاتح المدرس وغيره كثر».

أما بالنسبة للصعوبات التي يواجهها الفنانون في ريف دمشق فتحدث أبو غنام عن المعارض التي قاموا بها رغم كل الظروف حيث أقيم منذ يومين معرض لفناني الاتحاد التشكيليين بريف دمشق وكان معرضاً ناجحاً جداً وذلك في صالة الشعب حيث قدموا منحوتات فنية ولوحات تشكيلية إضافة للنحت على الخشب.

وعن جدوى إقامة مثل هذه المعارض ومن الفنانون المشاركون قال أبو غنام: «الجدوى من هذه المعارض هي تقديم لوحات للفنانين المشاركين الموجودين بسورية للجمهور ليراهم وهم فنانون من الأطياف كافة، وهناك أسماء كثيرة فالأمر ليس حكراً على أي إنسان وبالنسبة لعملية ترشيحهم تتم من خلال لجنة تقوم بمراقبة الأعمال وترشيح اللوحات وهل هي جديرة بالعرض أم لا.

وبخصوص دعم الفنانين المشاركين بما يخص اقتناء أعمالهم أشار «عادة عند انتهاء كل معرض هناك لجنة يتم تشكيلها بغرض أخذ واقتناء لوحات ذات قيمة فنية، ولوحات جيدة المستوى، ولوحات فوق الوسط، وهنا لابد لي من ذكر أنّه حتى اللوحات التي تكون ضعيفة يتم اقتناؤها وذلك من باب التشجيع».

وأكد معاون وزير الثقافة أن الواقع الذي يعيشه الفنان التشكيلي في الأزمة سيئ أسوة بظروف الكثيرين مشيراً إلى نقطة مهمة «الأسعار المحلية للوحات لا تضاهي الأسعار العالمية، فاللوحة التشكيلية للفنان السوري إذا كانت هنا بسعر نحو ١٠٠٠ دولار، سعرها في الخارج يتجاوز الـ١٠٠٠٠ و٢٠ و٣٠ ألف دولار، فالفنان التشكيلي في سورية يعيش فقيراً ويموت غنياً، فلوحاته بعد وفاته يمكن أن تعيش وتصبح أسعارها غالية ويمكن أن تصل إلى ملايين الدولارات».

من الفنانين المشاركين في المعرض الفني السنوي لفناني الفرع المقام في صالة الشعب الفنان محمود سالم، الذي تناول في لوحاته البيئة والطبيعة لينقل صورة البيت الريفي، صحيفة الوطن التقت الفنان الذي تحدث عن الظروف الصعبة وكيفية تجاوزها من فناني ريف دمشق بعد سنوات من الغياب: «إقامة هذا المعرض بالذات ومن خلال الظروف الصعبة التي تعصف ببلادنا، هو تأكيد على الهوية الوطنية وتضافر الجهود بين أطياف الشعب السوري الذي يرفض أي تدخل في شؤونه. وأنا أعتبره رسالة من الفنانين التشكيليين السوريين بريف دمشق إلى كافة أطياف الشعب وقوفاً جنباً بجنب مع إخوتنا في الجيش العربي السوري».

وعن مشاركته في المعرض صرح قائلاً: «مشاركتي لها هدف نبيل وهو النداء للحفاظ على البيئة والعودة إلى الطبيعة الأم، من خلال لوحة تمثّل البيت الريفي البسيط المبني من الطين والخشب والحجر، وهذا البيت يقع في ريف دمشق في المنطقة بين دمر والهامة، محاطاً بالأشجار المثمرة والطبيعة الخلابة التي تشتهر فيها بلادنا وخاصة الريف السوري».

وأوضح الفنان أن العمران السكني أصبح المهدد الأول للطبيعة وكل عناصرها مؤكداً أنه علينا وعلى كل من هو معني دق ناقوس الخطر «تعرضت البيئة والطبيعة في ريف دمشق خلال العشرين سنة الماضية إلى التدمير القاسي من خلال هدم البيوت القديمة واستبدال الأبراج السكنية بها لكسب المال والتجارة الرابحة الخاسرة، الأمر الذي يجعلنا ندق ناقوس الخطر، ولوحتي التي رسمتها والتي تجسد البيت الريفي، في الوقت الحالي أصبح مكانه أبنية إسمنتية، تفتقد فنون العمارة الدمشقية».

> محمود سالم: مشاركتي بلوحتي في المعرض هي نداء للحفاظ على البيئة والعودة إلى الطبيعة الأم